﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦﴾ [القلم: 5 - 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بعد إحقاق الحقائق يأتي الوعدُ الصّادق والوعيدُ الماحِق

لمّا ذَكرَ النَّظمُ الكريمُ اتِّهامَهم للنَّبيِّ الكريم بالجُنون الدّالِّ على إنكارِهم لشرعِهِ ودينِهِ وما جاءَ به من الحقِّ؛ ناسَبَ أنْ يذكُرَ الوعدَ لهُ ﷺ بالنَّصرِ عليهم والوعيدِ لهم بالخِذلانِ والخَسارة في مواجَهةِ الحقِّ والحقيقة، وحينَئذٍ يتبيَّنُ المهتدي من الضّالِّ، والعاقلُ منَ المجنون، والحكيمُ من الجاهِلِ السَّفيه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَسَتُبۡصِرُ﴾: البَصَرُ: العِلْمُ بالشَّيءِ، وبَصُرتُ بالشَّيءِ؛ إذا صِرتُ بهِ عالِمًا بصيرًا، وأبصَرتُهُ؛ إذا رأيتُهُ[1]، والبَصَر: حاسَّةُ الرُّؤية، والبصيرُ: العالِمُ، والتَّبصُّرُ: التَّأمُّلُ والتَّعرُّفُ، والتَّبصيرُ: التَّعريفُ والإيضاحُ[2]، والتَّحقيقُ: أنَّ الأصلَ الواحدَ في هذه المادَّةِ: هو العِلْمُ بنظَرِ العَين أو بنَظَرِ القَلْبِ[3]، والمرادُ به في الآيةِ: العِلْمُ بالمآلِ، والرُّؤيةُ لواقعِ الحالِ.

2) ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾: الفتنُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ابتلاءٍ واختبارٍ، من ذلك الفتنةُ، يقالُ: فُتِنْتُ أُفتَنُ فَتْنًا، وفَتَنْتُ الذَّهبَ بالنّار؛ إذا امتحنتَهُ، وهو مَفتونٌ وفتينٌ، والفتّانُ: الشَّيطانُ[4]، وفتنَ المالُ النّاسَ (من بابِ ضرَبَ) فُتونًا: استمالَهُم، وفُتِنَ في دينِهِ، وافتُتِنَ أيضًا: مالَ عنهُ، والفتنةُ: المِحنةُ والابتلاءُ، والجمعُ فِتَنٌ[5]، والتَّحقيقُ: أنَّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بصر).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (بصر).
(3) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 1/ 249.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فتن).
(5) الفيوميّ، المصباح المنير: (فتن).

الأصلَ الواحدَ في المادَّة: هو ما يوجِبُ اختلالًا معَ اضطِرابٍ، فما أوجبَ هذَين الأمرين؛ فهو فتنةٌ، ولها مصاديقُ: كالأموال، والأولاد، والاختلافِ في الآراء، والغُلوِّ في الأمرِ، والعذاب، والكُفر، والجنون، والابتلاء وغيرِها؛ إذا أوجبَ الأمرين[1]، والمرادُ بهِ في الآية: المجنونُ الَّذي فُتِنَ بعقلِهِ عن رُؤيةِ الدّينِ الحقِّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عند تجلية الحقائق وغَوْر الظُّنون، يُعلَم مَن به الفتنةُ والجُنون

أي: فستعلَمُ يا محمَّد علْمًا يقينيًّا، وسيعلمُ مُخالفوك أيُّكُمُ المفتونُ، أي: المجنونُ؛ لأنَّه فُتِن، أي: مُحِنَ بالجُنون، وقيلَ: فستُبصِرُ، ويُبصِرون بأيِّ الفريقين منكُم الفتنةُ، أي: المجنونُ، أبفريقِ المؤمنينَ أم بفريقِ الكافرينَ، وفي أيّهما يوجد مَن يَستحِقُّ هذا الاسمَ"[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الفاءِ) والغرضُ منها:

الاتِّهامُ بالجُنون ضلالٌ وفُتون

عطفَ النَّظمُ الكريمُ بـ(الفاء) في قولِه تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ على ما قبلَهُ؛ للتَّوعُّدِ والتَّهديدِ على ما صدرَ منهم من اتِّهام وتكذيبٍ، وما سيَصلونَ إلى إبصارِهِ من ضَلال مُبين، ولذا كانت "الفاءُ للتَّفْريع على قَوْلِه: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، باعتبارِ ما اقتَضاهُ قَولُهُ: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾، من إبْطالِ مَقالَةٍ قيلَتْ في شَأْنِه، قالَها أعداؤُهُ في الدّين، ابْتَدَأ بإبْطالِ بُهْتانِهم، وفَرَّعَ عَليهِ أنَّهُم إذا نَظَروا الدَّلائلَ، وتَوَسَّموا الشَّمائلَ؛ عَلموا أيُّ الفَريقَيْنِ المَفْتونُ؟ أهُم مَفْتونونَ بالانصرافِ عَنِ الحَقِّ والرُّشْدِ، أمْ هوَ باخْتِلالِ العَقْلِ، كَما اختَلَقوا؟"[3].

دلالةُ السّينِ في ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾:

تحقيقُ الإخبارِ لما يكونُ مَرئيًّا بالأبصار

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بـ(السّين)، في قولِهِ تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 9/ 20.
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1526.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 65.

﴿وَيُبْصِرُونَ﴾؛ للدَّلالة على الاستقبالِ معَ تأكيدِ وقوعِ ذلك في المستقبلِ القريب، وفيه وعدٌ بالحصولِ، والوعدُ من الصّادق لا يتخلَّفُ، فهو واقعٌ لا محالةَ، ونبَّه ابن عاشور إلى أنَّ (السّينَ) تكونُ للتَّأكيد؛ إن كانَ الفعلُ ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ بمعنى العِلْم؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قد عَلِمَ ذلك بالفعلِ ماضيًا، فيكونُ الإخبارُ عن علمِهِ مُستقبلًا توكيدًا لذلك المُتحقِّقِ الوقوع، وإنْ كان بمعنى الإبصارِ لذلك الأمر؛ فإنَّها تكونُ للمستقبلِ فحسبُ[1]، والَّذي يبدو أنَّها تأكيديَّةٌ وإنْ كانت الرُّؤيةُ بالإبصارِ الحسيِّ؛ لأنَّ الوعد بالأمرِ المستقبليِّ الَّذي يُبصَرُ يُفيدُ التَّوكيدَ والتَّثبيتَ لهُ، ونبَّه ابنُ عَرَفة إلى فائدةٍ للسّين أُخرى، فقال: "عبَّرَ بالمستقبل معَ أنَّه ﷺ عالمٌ بذلك في الحال؛ لأنَّ الخطاب بذلك عامٌّ في جميع النّاس، وكلٌّ واحد لا يَدري بماذا يُختَمُ له من ضَلالٍ أوْ هِداية؟"[2].

دلالةُ المضارعِ (تبصرُ) صيغةً:

تهديدُ المُجرمين بما يقعُ عليهم من خِذلانٍ مُبين

اختارَ النَّظمُ الكريمُ الفعلَ المضارعَ في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾؛ للدَّلالة على وقوعِ ذلك الأمرِ الموعودِ في حُصوله على سبيلِ الاستمرار المتجدِّد، ويتكرَّرُ ذلك الحصول؛ لأنَّ الاتِّهامَ له بالجُنونِ شنيعٌ، وسوف يَرى، ويُبصر، ويَعلم يقينًا ما سيؤولُ إليه أمرُهُ وأمرُهُم.

دلالةُ الإدماجِ في ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾:

لنجاحِ الحِوار الإنصافُ بينَ الأشرارِ والأخيارِ

أدمجَ النَّظمُ الكريمُ ذِكرَ الفعلِ (تُبصِرُ)، في قولِه تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾؛ لغرضِ مُجاراةِ الخَصْم وتصويرِ الأمر دائرًا بينَ الطَّرفين على سبيل الشَّكِّ والاحتمال؛ ولذا قالَ ابنُ عاشور: "والمَقْصودُ هوَ ما في قَوْلِه: ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾، ولَكِنْ أُدْمِجَ فيهِ قَوْلُهُ: ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾؛ ليَتَأتَّى بِذِكْرِ الجانِبَينِ إيقاعُ كَلامٍ مُنْصِفٍ (أي: داعٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 65.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 268.

إلَى الإنْصافِ) على طَريقَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: 24]؛ لِأَنَّ القُرآنَ يَبْلُغُ مَسامِعَهُم، ويُتْلَى عَلَيهِم"[1].

دلالةُ المُضارع (تُبصر) مادَّةً بينَ الحقيقةِ والاستعارة:

المُبالغة في العِلْمِ بتنزيلِهِ مَنزلةَ الجِسْم

عبَّر النَّظمُ القرآنيُّ بالفعلِ المضارعِ للإبصارِ كرَّتين، في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾؛ للدَّلالة إمّا على الإبصارِ الحسيِّ، وذلك بالرُّؤية له بالعَينِ المُجرَّدة، وإمّا بمعنى العِلْم والإدراكِ والاعتقاد بالشَّيءِ، فإن كان بالمعنى الأوَّل؛ فهو استعمالٌ حقيقيٌّ فيما وُضِعَ له اللَّفظ، وإن كان بالمعنى الثّاني؛ فهو استعارةٌ؛ للدَّلالة على شدَّةِ العِلْم بالشَّيء حتّى إنَّه يَتحوَّلُ إلى إبصارٍ له، فيكون هنالك استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ؛ بتشبيهِ العِلْم بالشَّيء بالإبصارِ له؛ مبالغةً وتجسيدًا للمعلوم، ثُمَّ حُذِفَ المشبَّهُ، واشتُقَّ من المشبَّهِ به الفعلانِ، قال البقاعيُّ: "أي: ستعلَمُ يا أعلى الخَلْقِ وأشرَفِهم وأكملِهم عن قريبٍ بوعدٍ لا خُلفَ فيه، عِلْمًا أنتَ في تحقُّقِهِ كالمُبصِرِ بالحسِّ الباصرِ"[2]، والغرضُ من التَّشبيه تحقيقُ ذلك الفعلِ وتثبيتُ وقوعِهِ، حتّى إنَّه يُصبحُ إبصارًا من شدَّةِ العِلْم به، وبذلك يتقوّى التَّهديدُ والتَّوعُّدُ لأولئك الحاسِدينَ والمُكذِّبين.

مَرجِعُ الضَّميرينِ في ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾:

تشريفُ النَّبيِّ بالخطاب، وإهمالُ المُكذِّبينَ بالغياب

الفعلانِ المُضارعان الواردانِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ مَنسوبانِ إلى فاعلٍ معيَّنٍ ومعلومٍ من السّياق، والفعلُ الأوَّل منسوبٌ إلى النَّبيِّ ﷺ بأسلوبِ ضميرِ الخطاب؛ إشعارًا بالقُربِ منه والاهتمام بأمره، ومن ثَمَّ قُدِّمَ في النَّظم فعلُهُ ﷺ وإنْ كان ذِكرُهُ مُدمَجًا، والفعلُ الثّاني منسوبٌ للمشركينَ الحاسِدينَ، الَّذين اتَّهموا النَّبيَّ ﷺ بالجُنون والاضطراب العقليِّ، المُعبَّرِ عنهم بضميرِ الغَيبة (الواو)؛ للدَّلالة على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 65.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 295.

غَيبتِهم عن المشهَدِ وعدمِ الاكتراث بحالِهم، وإنْ كان ذِكرُ حَدَثِهم على أنَّه الأبرزُ؛ إذ إبصارُهُم لما يؤولُ إليه أمرُهم هو المقصدُ من التَّوعُّدِ والتَّهديد، ولذا أُخِّرَ فعلُهم، وجُعِلَ مُرتبِطًا بالمتعلِّقِ مُباشرةً.

معنى (الواو) في ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾:

الارتباطُ بينَ الإبصارين تعديلٌ لحقِّ الطَّرفين

عطفَ النَّظمُ الكريمُ الفعلَ المضارعَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾ على ما قبلَهُ؛ للدَّلالة على الجمعِ والاقتران بينَ إبصارِهم للمُهدَّدِ به وإبصارِهِ له، والعطفُ وإنْ دلَّ في الصَّنعة على أنَّ المعطوفَ تابعٌ وثانٍ، إلّا أنَّه في السّياق هو المقصودُ أصالةً، وذِكرُ المعطوفِ عليه للعدالةِ عندَ التَّهديد بما سيكونُ.

دلالةُ الفعلِ المُضارعِ ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

رؤيةُ الضَّلالِ المُبين بنظَرِ القلبِ والعَين

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ المضارع في قولِهِ تعالى: ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ لإبصارِهم الحِسّيِّ أوِ العلْميِّ، ويحتملُ أن يكون الإبصارُ الأوَّلُ المنسوبُ للنَّبيِّ الكريم ﷺ بمعنى الرُّؤيةِ العينيَّة، والإبصارُ الثّاني المسندُ إليهم بالمعنَيين الحسّيِّ والاعتقاديِّ؛ لأنَّ بعضَهم يموتُ، فلنْ يتحقَّقَ له الإبصارُ بالمُهتدينَ والمَجانينَ الضالّين، إلّا علْميًّا بما يَؤولُ إليه أمرُهُ من عِقاب، وبعضُهم يبقى حيًّا حتّى يُدركَ ذلك بأُمِّ عينِه.

سرُّ تركِ (السّين) معَ ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾:

الاهتمامُ يقتضي الوَعْدَ تسليةً له عنِ الإيذاءِ بما يَجِد

تركَ النَّظمُ الكريمُ (السّين) في قولِهِ تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾؛ لعدمِ الاهتمامِ بشأنِهم، وعدمِ التَّنويهِ بأمرِهم، فقد أكَّدَ الوعدَ للنَّبيِّ ﷺ بإبصارِ ذلك الأمرِ والعلْمِ به، ولم يُؤكِّد لهم، ولم يهتمَّ بالوعدِ معَهُم، قال القونويُّ: "وزيادةُ (السّين) هنا تأكيدُ بصيرتِهِ ﷺ، بحيثُ يترتَّبُ عليه زيادةُ اليقين، وأمّا المشركونَ؛ فلا فائدَةَ في إبصارهم، وعن هذا تركَ (سينَ) التَّأكيد هنا"[1].

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 225.

دلالةُ التَّضمين في الفعلين:

أعلى درجاتِ اليقينِ المُتحقِّقُ إبصارُهُ بالعَين

يحتملُ فِعلا الإبصارِ الواردانِ في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾ أنَّهما ضُمِّنا مَعنى (توقِنُ ويوقِنون)، ويُرشِّحُ ذلك تعديتُهما بـ(الباء)؛ لأنَّ الإبصارَ بالعينِ والعِلْم يتعدَّيانِ بأنفسهما، وفائدةُ التَّضمين الإشارةُ بطريقِ الكنايةِ إلى أنَّ ذلك اليقين متحقِّقُ الوقوعِ[1]، وكأنَّه مُبصَرٌ بأُمِّ العين؛ إذ أعلى درجاتِ اليقين ما يكونُ إبصارهُ بالعَين المجرَّدة.

معنى (الباءِ) في ﴿بِأَيِّيكُمُ﴾:

قراءُ المعاني الحرفيَّة المتأثِّرةِ بالدَّلالاتِ السّياقيَّة

يتعدَّدُ معنى (الحرف) باختلافِ الدَّلالات السّياقيَّة، وطبيعةِ الارتباط بينَ عناصرِ التَّراكيب، من ذلك (الباء) الواردةُ في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾؛ فقد احتملت أربعَ دلالاتٍ بتعدُّدِ المُرادِ بـ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾، أهو المَجنون أم الجنونُ أوَّلًا؟ وبطبيعةِ التَّعديةِ بينَ (تبصر وتبصرون) بالجارِّ والمجرورِ ثانيًا، وبالتَّضمينِ وعدمِه فيهما ثالثًا، وبتعلُّقِ الجارِّ والمجرور واستئنافِه رابعًا، على التَّفصيل الآتي:

الباءُ زائدةٌ للتَّوكيد[2]، وهذا التَّوجيهُ بناءً على أنَّ الفعلين ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾، بمعنى الإبصارِ أوِ العِلمِ مُتعلِّقان بالاستفهام (أيّ)، قال ابن عطيَّة: "الإبصارُ عاملٌ في الجملةِ المُستفهَم عنها في معناها"[3]، والتَّقديرُ: (فستُبصر، ويُبصِرونَ أيُّكم المفتونُ) المُتمحَنُ في عقلِه وطريقِ هدايته أوِ المَجنونُ؛ إذِ الفعلُ بمعنى (الإبصارِ والعِلْم) يَتعدَّيانِ بأنفُسِهما، فتكون (الباءُ) مُؤكِّدةً لذلك الشَّيء المُبصَرِ المَعلوم، وأنَّ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ بمعنى اسم المفعولِ، قال السَّمين: "تكونُ الجملةُ الاستفهاميَّةُ في محلِّ نَصْبٍ؛ لأنَّها واقعةٌ موقعَ مفعولِ الإبصار"[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 67.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 10/ 402.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 346.
(4) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 10/ 402.

الباءُ ظرفيَّةٌ بمعنى (في)، وهذا التَّوجيهُ مبنيٌّ أيضًا على تعلُّقِ الفعلين بالاستفهامِ تعلُّقَ المظروفِ بالظَّرف، وأنَّ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ بمعنى (المَجنون)، والتَّقديرُ: (فستُبصِرُ، ويُبصِرونَ في أيِّكم يوجدُ المجنونُ) الَّذي فُتِنَ بعقلِه، والإبصارُ في الاستفهامِ هو إبصارٌ في جوابِهِ المفهومِ من السّياق، فإن كان الجوابُ بأيٍّ منهما؛ فإنَّه يتحقَّقُ الإبصارُ في جوابِ ذلك والعلْمِ به، ولكن يَلزمُ على هذا الوجهِ أن تكونَ (الباءُ) للظَّرفيَّة، فتكونَ مَجازًا بذِكر المُعدّي وإرادةِ المَعنى الظَّرفيِّ، قال الطَّبريُّ: "تأويلُهُ (بأيِّكم المَجنونُ)، كأنَّه وجَّه معنى (الباء) في قوله: ﴿بِأَيِّيكُمُ﴾ إلى معنى (في)، وإذا وُجِّهَتِ (الباء) إلى معنى (في)؛ كان تأويل الكلام: (ويُبصِرونَ في أيِّ الفريقينِ المجنونُ؟ في فريقك يا محمَّد أو فريقِهم، ويكون المجنونُ اسمًا مرفوعًا بـ(الباء)"[1].

الباءُ للمُلابسةِ بمعنى (معَ) أو للإلصاقِ، وهذا التَّوجيهُ بناءً على قطعِ العلاقةِ بينَ الفعلين والجملةِ الاستفهاميَّة بـ(الباء)، فيكون الكلامُ قد تمَّ في جُملتَي ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾، ثمَّ ابتدأ بكلامٍ آخرَ استفهاميٍّ، قال ابنُ عطيَّة: "الكلامُ تامٌّ في قوله: ﴿وَيُبۡصِرُونَ﴾، ثمَّ استأنفَ قولَه: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾"[2]، وأنَّ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ اسمُ مفعول بمعنى المصدر، والتَّقدير: (الفتونُ مُلتبِسٌ بأيِّكم)، ثمَّ يقع التَّركيبُ الاستفهاميُّ الاسميُّ بأكملِهِ مُتعلِّقًا للفعلَين ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾، وليس عن طريقِ (الباء)، وفائدةُ الارتباط بالمجموعِ التَّخلُّصُ من إشكاليَّةِ تعديةِ الفعلين المتعدّيين بأنفسِهما إلى التَّعدّي بـ(الباء)، والذَّهاب إلى دَعوى الزّيادةِ لها أو المَجازِ الظَّرفيِّ فيها، والتَّقديرُ: (فستُبصِرُ، ويُبصِرونَ، الفتونُ مُلتبِسٌ بأيِّكم)، قال الطَّبريُّ: "تأويلُ ذلك: بأيِّكُمُ الجُنونُ، وكأنَّ الَّذين قالوا هذا القولَ وجَّهوا ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ إلى معنى (الفتنة أو الفتون)، كما قيل: ليس لهُ معقولٌ ولا معقودٌ، أي: بمعنى ليس له عقلٌ ولا عقدُ رأيٍ، وأولى الأقوالِ في ذلك عندي بالصَّواب قولُ مَن قال: معنى ذلك (بأيِّكم الجُنون)، ووجَّهَ المفتونَ إلى (الفُتون) بمعنى المصدر؛ لأنَّ ذلك أظهرُ معاني الكلام؛ إذا لم ينوِ إسقاطَ الباء، وجعلنا لدخولِها وجْهًا مفهومًا"[3].

(1) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 530.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 346.
(3) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 530.

الباءُ مُعدّيةٌ، وهذا بناءً على تضمينِ الفعلين ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾ معنى اليقينِ، فيكونانِ لازمينِ بالتَّضمين، وتكونُ (الباءُ) مُعدّيةً لهُما.

مُتعلَّقُ الباءِ في ﴿بِأَيِّيكُمُ﴾:

تقويةُ التَّعدية تخصيصٌ لما تقَعُ فيهِ التَّبصرة

الجارُّ والمجرور ﴿بِأَيِّيكُمُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾، يتعلَّقُ باعتبارِ دلالتِهِ وأصالتِه، فمَن رأى أنَّه مزيدٌ للتَّوكيدِ؛ فلا تعلُّقَ لهُ أصلًا بالباء، بلْ يكونُ محلُّ الجملةِ مُتعلِّقًا، ومَن ذهب إلى أنَّه دالٌّ على الظَّرفيَّةِ المجازيَّة؛ فإنَّه مُتعلِّقٌ بما قبلَهُ، ومَن أعربَهُ خبرًا مُقدَّمًا؛ فإنَّه مُتعلِّقٌ بخبرٍ محذوفٍ تقديرُهُ (ملتبِسٌ)، ومَن ضمَّنَ الفعلين ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾ معنى اليقينِ؛ فإنَّه متعلِّقٌ حينئذٍ بهما باعتبارِ ما تضمَّناه، والذي يظهر أنَّه متعلِّقٌ بالفعلين على سبيلِ التَّنازُع، وأنَّ (الباءَ) مُقوّيَةٌ للتَّعدّي الأصليِّ في الفعلين؛ لأجل تحديدِ محلِّ الإبصار، فيفيدُ الاختصاصَ بإبصارِ (أيُّكم المفتون)؛ لأنَّه محلُّ النِّزاع.

مَعنى (أيّكم) والغرضُ منه:

الإغماضُ في الاستفهام لتحقيقِ الإنصافِ عندَ الإفهام

استعملَ النَّظمُ الكريمُ أداةَ الاستفهام (أيّ)، في قولِهِ تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾؛ للدَّلالة على تمييزِ أحدِ المُتشاركينَ عن الآخر، قال ابن عاشور: "وهوَ في جَميعِ ذَلِكَ يُفيدُ شَيْئًا مُتَمَيِّزًا عَمّا يُشارِكُهُ في طائِفَتِهِ المَدْلولَةِ بِما أُضيفَ هوَ إلَيهِ، فَقَوله تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾، مَعْناهُ: أيُّ رَجُلٍ، أو أيُّ فَريقٍ مِنكُمُ المَفْتونُ؟"[1]، والغرضُ منَ الاستفهام الإبهامُ على المخاطَبِ والإغماضُ فيه، وإن كان معلومًا الجوابُ من السّياق، لكنَّ المناظرةَ توجبُ مُجاراةَ الخصم حتّى يتحقَّقَ الإنصافُ في التَّعبير، فالاستفهامُ مُستعمَلٌ في التَّمييزِ مجازًا، والمراد به الإبهامُ لدى الإفهام؛ إذِ المَفتونُ هُمُ المُكذِّبون، وأنَّ غيرَ المفتونِ هو النَّبيُّ الكريمُ ﷺ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 66.

صيغةُ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ بينَ المفعوليَّةِ والمصدريَّة:

الحملُ على أصلِ الصّيغة أولى من العُدولِ عن الحقيقةِ

استعملَ النَّظمُ الكريمُ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾؛ إمّا للدَّلالةِ على معنى المفعولِ، والمرادُ به الَّذي فُتِنَ في عقلِهِ وقلبِهِ، فلا يَرى الحقَّ، ولا يبصرُ الحقيقةَ، وإمّا للدَّلالة على معنى المصدريَّة؛ إذ وقعتْ صيغةُ المفعولِ؛ للدَّلالة على المصدرِ كـ(الميسور والمَعسور)، قال الهرريُّ: "المفتونُ إمّا اسمُ مفعولٍ بمعنى المَجنون، أو مصدرٌ بمعنى الفُتون، وهو الجنونُ، كـ(المعقولِ) بمعنى العَقْلِ"[1]، فالمرادُ: بأيِّكم الفُتونُ مُلتبسٌ، والَّذي يترجَّحُ أنَّ اللَّفظ بمعنى المفعولِ المُتناسِقِ مع الاتِّهام للنَّبيِّ الكريم باسم المفعول (مجنون)، فردَّ عليهم النَّظمُ أنَّهم سوفَ يُبصِرون أيُّهم الَّذي فُتِنَ في عقله، فلا يرى طريقَ الحقِّ، ولا يُبصرُ نورَهُ المُبين.

دلالةُ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ مادَّةً:

المفتونُ مَن ضلَّ عنِ الطَّريقِ المأمون

عبَّر النَّظم الكريم بلفظِ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ المشتقِّ من الفعلِ (فُتِنَ)، فيكونُ إمّا بمعنى الَّذي أصابَتْهُ فتنةٌ إنْ كان اسمَ مفعول، أو بمعنى الفُتونِ إنْ كان مَصْدرًا، و﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ لفظ عامٌّ يتحقَّقُ في أفرادٍ عديدة، منها فتنةُ العقلِ والبصيرة والحِكمة، ومن ثمَّ يقالُ للمجنونِ مفتونٌ، وبهذا المعنى يتحقَّقُ الرَّدُّ على المتَّهمين للنَّبيِّ ﷺ بأنَّه مجنون، فتوعَّدَهُم بأنَّهم سوف يُبصِرون مَن هو المفتونُ والمجنونُ في عقله حتَّى ضلَّ عن سبيلِ ربِّه، أو يُبصِرونَ مَن تتلبَّسُ الفتنةُ في عملِه وتصوُّرِه، أي: فتنةُ العقلِ والإدراكِ والتَّصديقِ والإذعانِ.

إيثارُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾:

الأنسبُ عندَ التَّوصيف أحقُّ في الاختيارِ والتَّعريف

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظِ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ دونَ لفظِ (المجنون)، مع أنَّ المفتونَ مِن أفرادِهِ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 130.

المجنونُ الَّذي فُتِنَ في عقلِهِ وإدراكِهِ، وأنَّ التُّهمةَ الَّتي أوجبَتِ الرَّدَّ هي صفةُ الجُنون التي ألصقها الأعداءُ بالنَّبيِّ الكريم ﷺ، والسِّرُّ في ذلك بيانُ ضلالِهم في وصفِهم هذا النَّبيَّ بهذا النَّعت، وأنَّهم لم يُحسنوا الاختيارَ، فالأنسبُ أن يتَّهموه بالمفتونِ دونَ المجنون؛ لأنَّ الجُنون عَرَضٌ مستمرٌّ بخلافِ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾، الَّذي يفتنُ في عقله، ويَضطربُ فهمُهُ أحيانًا، فهو بيانٌ لجهلِهم في ذِكر التَّوصيفِ المناسب أوَّلًا، وأنَّ الأنسب بالمقام عندَ الرَّدِّ عدمُ نسبةِ الطَّرفين للجنون ثانيًا، فلم يقل: (أيكم المجنون)؛ لأنَّ الاعتقاد بالضَّلال وعدمِ معرفة الحق يكونُ في المفتون عن رُؤيتِهِ ومعرفتِهِ، قال ابن عاشور: "إيثار هذا اللَّفظ، دونَ لَفْظِ (المَجنونِ) مِنَ الكَلامِ المُوَجَّهِ أوِ التَّوريَةِ؛ ليَصِحَّ فَرْضُهُ لِلجانِبَينِ، فَإن لَم يَكُنْ بَعْضُ المُشْرِكينَ بِمَنْزِلَةِ المَجانينِ الَّذينَ يَندَفِعونَ إلَى مُقاوَمَةِ النَّبيِّ ﷺ بِدونِ تَبَصُّرٍ؛ يَكُنْ في فِتْنَةِ اضطِرابِ أقْوالِهِ وأفْعالِهِ، كَأبي جَهْلٍ والوَليدِ بنِ المُغيرَةِ وأضْرابِهِما، الَّذينَ أغرَوُا العامَّةَ بِالطَّعْنِ في النَّبيِّ ﷺ بِأقْوالٍ مُخْتَلِفَةٍ"[1].

الوصفُ الادِّعائيُّ والتَّشبيهُ البليغُ في ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾:

توصيفُ راجحِ التَّفكير بالجُنونِ قولٌ مأفون

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بـ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾، وهو يحتملُ إرادةَ الحقيقةِ، بأنَّهم سيُبصِرونَ المجنونَ الحقيقيَّ في نهايةِ المطافِ، أو كالمجنونِ والمنزَّلِ منزلتَهُ، فيكون الوصفُ ادِّعائيًّا على أسلوب التَّشبيهِ البليغ، قال ابنُ عاشور: "فَيَكونُ تَعْريضًا بِأبي جَهْلٍ والوَليدِ بنِ المُغيرَةِ وغَيرِهِما مِن مُدَبِّري السّوءِ عَلَى دهماءِ قُرَيْشٍ بِهَذِهِ الأقْوالِ الشَّبيهَةِ بِأقْوالِ المَجانينِ؛ ذَلِكَ أنَّهُم وصَفوا رَجُلًا مَعْروفًا بَينَ العُقَلاءِ، مَذْكورًا بِرَجاحَةِ العَقْلِ والأمانَةِ في الجاهِليَّةِ، فَوَصَفوهُ بِأنَّهُ مَجْنونٌ، فَكانوا كَمَن زَعَمَ أنَّ النَّهارَ لَيْلٌ، ومَنْ وصَفَ اليَوْمَ الشَّديدَ البَرْدِ بِالحَرارَةِ، فَهَذا شُبِّهَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 66.

بِالمَجْنونِ، ولِذَلِكَ يُجْعَلُ ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ في الآيَةِ وصْفًا ادِّعائيًّا على طريقَةِ التَّشبيهِ البَليغِ"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الاختبارُ والابتلاءُ والامتحانُ والفتنة:

الوقوفُ على الدَّلالة الوضعيَّة لمعرفة الفروقِ الاستعماليَّة

الاختبارُ منَ (الخبَر) بمعنى الاطِّلاع النّافذِ وأخذِهِ، والابتلاءُ منَ (البَلْوِ) بمعنى إيجادِ التَّحوُّل والتَّقلُّب والأخذِ به، والامتحانُ من (المَحْنِ)، وهو دأبٌ وجِدٌّ في العمل حتّى يتحصَّلَ الخبرُ والنَّتيجة، والفتنُ إيجادُ اختلالٍ واضطراب، فلا يصحُّ استعمالُ واحدٍ منها في موردٍ آخرَ إلّا بالتَّجوُّز، وقدِ اختلط كلُّ واحد من هذه المعاني في مقامِ الاستعمال والتَّفسيرِ في كَلماتهم، نعم؛ إذا لوحظتِ الحيثيّات والقيودُ؛ فلا إشكال، فيقال: اختبرتُ الذَّهبَ، وابتليتُهُ، وامتحنتُهُ، وافتتنْتُه؛ **فالأوَّلُ**: بلحاظِ مُجرَّدِ تحصُّلِ الخبرِ فيه، **والثّاني**: بتحصُّلِ التَّحوُّلِ والتَّقلُّبِ فيه، **والثّالثُ**: بالنَّظر إلى دأبٍ وجِدٍّ حتّى يتحصَّلَ الخبرُ. **والرّابع**: بالنَّظرِ إلى حصولِ اختلالٍ واضطرابٍ فيه[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 67.

(2) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 9/ 20 - 21.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"